

Dirassat & Abhath

The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث

المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

ISSN: 1112-9751

عنوان المقال:

الإمام أبو الوليد الباجي (ت 474 هـ) وجهوده في خدمة المذهب المالكي
أصولاً وفروعاً

د. العمري بلاعة

جامعة المسييلة

الإمام أبو الوليد الباجي (ت 474 هـ) وجهوده في خدمة المذهب المالكي أصولاً وفروعاً

د. العمري بلاعة

جامعة محمد بوضياف، المسيلة

الملخص

يعتبر الإمام أبو الوليد الباجي أحد أعمدة الفقه المالكي الذين أسهموا في خدمة هذا المذهب أصولاً وفروعاً. ويأتي هذا البحث لبيان الدور الفعال والإسهامات المتعددة، سواء على مستوى التدريس أو المناظرة أو التصنيف، حيث كان حضور الإمام الباجي بارزاً في مختلف العلوم الشرعية لا سيما في أصول المذهب وفروعه.

وقد أبان هذا البحث عن عظمة هذه الشخصية المتميزة وإسهاماتها الكلامية والجدلية نصرة للمذهب المالكي وخدمة له.

كما جاء هذا البحث مبرزاً جهود الإمام الباجي الأصولية والمصطلحية، والتي تنبئ عن ثقافة الباجي الأصولية الشاسعة والجامعة، حيث تَظْهَرُ معالم هذه الجهود من خلال مسلكي التأصيل والتحقيق، سواء كان ذلك على مستوى أصول المذهب أو فروعه.

كما أبان البحث جهود الإمام الباجي الفقهية، ولا أدل على ذلك من كتبه العديدة في فروع المذهب المالكي لا سيما كتابه النفيس المنتقى شرح الموطأ الذي خدم به المذهب المالكي أيماً خدمة.

الكلمات المفتاحية: الفقه، الباجي، الكلامية، الجدلية، الأصولية، الفقهية، جهود، أصول، المذهب، فروع.

abstract

Al- Imam Abu Al-Walid Al-Baji is one of the scientific poles in Maliki jurisprudence, those who have contributed to serving Maliki doctrine both its rules and branches.

This research aims to show Al-Baji's effective role and his numerous contributions, whether on teaching, debating, or authoring. In that Al-Baji had a significant presence in different Islamic sciences, especially in Maliki doctrine rules and branches.

Also, this study aims to highlight Al-Baji's efforts both in rules, and terminologies, which indicates his basic wide culture. These efforts have shown through two ways: rooting and achieving, whether on Maliki doctrine rules or its branches.

As well this study shows Al-Baji's efforts in Fiqh (Islamic jurisprudence), this is evidenced by his numerous books in Fiqh Maliki branches, especially in his precious book " Al-Muntaqa Sharh Al-Muwatta", which he served -by it- the Maliki doctrine.

Key words: Al-Baji's, whether, terminologies, Maliki, Rules, branches.

مقدمة

يعدّ الإمام أبا الوليد الباجي أحد أعمدة المذهب المالكي في الأندلس، كان فقيها أصوليا بارعا، ومحدثا حافظا.

وقد اهتم الباحثون بما أبدعه في مجال الفقه وأصوله، والحديث وعلومه، وبقية علوم الشريعة؛ ولكن جانب تأثيره وإسهاماته في خدمة المذهب تأصيلا وتفريعا نادرة هي الدراسات حوله، لذلك أردت من خلال هذا البحث أن أبين جهود الإمام أبي الوليد الباجي وإسهاماته في خدمة المذهب المالكي، سواء من جانب التأصيل والتفريع أو من جانب التفريع والتحقيق.

أهمية هذا الموضوع

تكمن أهمية الموضوع وقيّمته فيما يلي:

- مكانة الإمام أبي الوليد الباجي ومنزلته العلمية وما يحظى به من مكانة.
- كثرة إنتاجه العلمي المتنوع بتنوع علوم الشريعة.
- أهمية معرفة جهود هذه الشخصية العلمية الموسوعية التي أسهمت بشكل واضح وجلي في تكملة بناء صرح المذهب المالكي تأصيلا وتفريعا واجتهادا.

الإشكالية المطروحة

إن الذي يطّلع على سيرة الإمام الباجي ومعالم فكره يجد أن هذه الشخصية قد أسهمت بشكل واضح في خدمة المذهب المالكي، ولكن فيما تكمن هذه الإسهامات. وماهي هذه الجوانب التي ساهمت في خدمة المذهب المالكي؟

وتأتي هذه الورقة البحثية للإجابة عن هذا التساؤل، وذلك ببيان الجانب المُشرق لهذا العَلم

في خدمة هذا الدين عموما، والمذهب المالكي على وجه الخصوص.

أسباب الاختيار

- الإسهام في دراسة تراث المذهب المالكي بالأندلس.
- محاولة الوقوف على انجازات الإمام الباجي وإسهاماته في خدمة المذهب المالكي.
- الأهمية الكبرى لهذا الموضوع.

أهداف البحث

- إبراز معالم شخصية أبي الوليد الباجي العلمية.
- بيان جهود أبي الوليد الباجي وإسهاماته في خدمة المذهب المالكي.

الجديد في الدراسة

الجديد في هذا البحث هو تخصيص الدراسة ببيان جهود الإمام أبي الوليد الباجي وإسهاماته في خدمة المذهب المالكي تأصيلا وتفريعا واجتهادا.

الدراسات السابقة

أشير في هذا الإطار إلى أنه قد سبقني إلى دراسة وكتابة ما يتعلق بالإمام الباجي إخوة من الباحثين أهمها تدور حول تحقيق ودراسة كتبه المتنوعة، وكذا بيان آرائه الأصولية، واجتهاداته الفقهية منها:

أ- الإمام أبو الوليد الباجي وآراؤه الأصولية. من إعداد: صالح بوبشيش، للحصول على شهادة الدكتوراه في أصول الفقه من جامعة باتنة، الجزائر.

ب- الاجتهادات الفقهية للإمام الباجي من خلال كتابه المنتقى قسم المعاملات. من إعداد: العمري بلاعدة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الجزائر.

ج- أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي وتأصيله الفقهي للمذهب المالكي. من إعداد: خالد وزاني لنيل درجة الدكتوراه من جامعة المغرب.

د- أبو الوليد الباجي وكتابه التعديل والتجريح. من إعداد: أبو لبابة حسين للحصول على درجة الدكتوراه من جامعة الأزهر الشريف، مصر.

هـ- المصطلح الأصولي لدى أبي الوليد الباجي. من إعداد: العربي البوهالي لنيل درجة الدكتوراه من جامعة المغرب.

و- معالم الفكر الأصولي المالكي من خلال فكر الباجي الأصولي. من إعداد: محمد بن محمد رفيع لنيل درجة الدكتوراه من جامعة المغرب.

ز- جهود الإمام أبي الوليد الباجي في شرح الموطأ. من إعداد: خالد شاكر عطية سليمان لنيل درجة الدكتوراه في الحديث وعلومه من جامعة الأزهر الشريف، مصر.

منهج البحث

اعتمدت في دراستي لهذا الموضوع على أسلوب يجمع بين المنهج الاستقرائي والمنهج الوصفي التحليلي، وذلك بغية تحقيق الهدف المتوخى من هذه الدراسة والمتمثل في إبراز إسهامات الإمام الباجي في خدمة المذهب المالكي أصولاً وفروعاً.

المبحث الأول: ترجمة الإمام أبي الوليد الباجي¹

يتناول هذا المبحث حياة الإمام أبي الوليد الباجي، ويشتمل هذا المبحث على مطبين:

المطلب الأول: حياة أبي الوليد الباجي الذاتية

يتناول هذا المطلب سيرة أبي الوليد الباجي الذاتية من خلال النقاط الآتية:

1- اسمه ونسبه: هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي المالكي الأندلسي الباجي، أصله من بطليوس، حيث انتقل آباؤه إلى باجة الأندلس، ثم سكنوا قرطبة واستقر أبو الوليد بشرقي الأندلس. وأسرته أبي الوليد من الأسر العلمية المتدينة التي عرفت بالتقوى والعلم والنباهة والنبيل، فقد كان له إخوة أجلة، كما كان جدّه من أمه، وخاله من أهل العلم.

2- مولده ونشأته: ولد أبو الوليد في مدينة بطليوس يوم الثلاثاء منتصف ذي القعدة سنة 403هـ²، ونشأ وترعرع في بيت علم ونباهة، وسط أسرة عربية عريقة اتسمت بالتقوى والصلاح والعلم. ومن ثمة فلا عجب أن يتجه أبو الوليد الباجي نحو طلب العلم والمعرفة منذ صغره بهمة عالية ورغبة صادقة، حيث بدأ مرحلته التعليمية الأولى على يد أسرته، فقد حفظ القرآن الكريم عن قراء الأندلس، وفي مقدمتهم خاله أبو شاكر التجيبي، كما أخذ الحديث وعلومه عن أبي الأصبغ عيسى بن خلف المعروف بابن درهم، كما درس اللغة والفقه والأدب عن قضي يونس بن محمد بن مغيث وغيره.

ولم يكتف أبو الوليد الباجي بالبقاء في الأندلس، بل عزم على الرحلة في طلب المزيد من العلم إلى بلاد المشرق الإسلامي للاتصال بأعلامه والاستفادة منهم، ولم يمنعه فقره على تحقيق رغبته الملحة، فقد أخذ عن شيوخ المشرق وعلمائه مختلف الفنون العلمية، لا سيما علم الفقه على طريقة مالكية أهل العراق، وكذلك علمي الجدل والمناظرة.

وقد عكف على تحصيل العلم طيلة ثلاث عشرة سنة بجد واجتهاد حتى عاد إلى الأندلس بعلم وافر وزاد كبير، وبذلك أصبحت له مكانة علمية رفيعة بين أهل الأندلس وأمرائها، ثم بذل كل ما جهوده في التربية والتعليم والتأليف، والسعي بين ملوك الطوائف الذين وجدهم أحزابا وشيعا، فدعاهم إلى الوحدة وجمع الكلمة لمواجهة الأعداء.

3- وفاته: توفي أبو الوليد الباجي بالمرية عندما جاءها سفيرا بين رؤساء الأندلس يؤلفهم على نصرة الإسلام، وعلى جمع كلمتهم مع جنود ملوك المغرب المرابطين فعاجلته المنية قبل تمام غرضه.

وقد اختلف المؤرخون في سنة وفاته، لكن الذي عليه جمهور المؤرخين هو أن أبا الوليد الباجي توفي ليلة يوم الخميس -بين العشائين- في التاسع عشر من شهر رجب سنة 474هـ، وصلى عليه ابنه أبو القاسم أحمد ودفن في الرباط على ضفة النهر³.

المطلب الثاني: حياة أبي الوليد الباجي العلمية

1- طلبه للعلم: إنَّ أبا الوليد الباجي نشأ في بيئة علمية صالحة، فأبوه كان من الصالحين، وأمّه وجدّه لأمّه كانا من الفقهاء البارزين، وخاله كان فقيها وحافظا، وإخوته كانوا أجلة نبلاء صالحون، فلا غرابة أن يأخذ من علم هؤلاء جميعا وصلاحيهم، وأن يبرز في مختلف الفنون العلمية. ومن ثمة فقد بدأ أبو الوليد الباجي مرحلته التعليمية الأولى على يد أفراد أسرته، وهي عادة معروفة ومحمودة في بلاد الأندلس، وقد استفذ جلّ ما في جعبة أفراد أسرته من العلم والأدب الرفيع في سنّ مبكرة. وقد ساعده على ذلك ذكاه

الوقاد ورغبته الملحة، وهمّته العالية لنيل العلم والتبحر فيه.

أما تعليم أبي الوليد الباجي، وأخذه عن علماء الأندلس، فقد بدأ على يد كبار العلماء والمشايخ. وقد اتجه في بداية الأمر إلى دراسة اللغة والأدب بفنونه المختلفة مركّزا على الشعر والأخبار والأنساب، فحاز منها الكثير وانطلق لسانه بالشعر خاصة جاعلا منه أكبر همّه قبل أن يرحل إلى المشرق، حيث أن الشعراء كانت لهم مكانة خاصة عند أمراء الطوائف الذين هم من أصل عربي كبنّي عباد وبنّي الأفطس، فبرز فيه وذاع صيته⁴. كما أنه كان عاكفا على علوم القرآن والحديث والفقه والأصول وعلم الكلام. فقد درس بقرطبة وأخذ عن خاله أبي شاكر عبد الواحد (ت456هـ) علوم اللغة العربية، كما أخذ النحو والحديث عن الحافظ يونس بن مغيث (ت429هـ)، كما أخذ علوم القرآن والقراءات عن المقرئ الكبير أبي محمد مكي بن أبي طالب (ت437هـ)، كما أجازة المقرئ أبو سعيد الجعفري (ت424هـ) كتاب العالم والمتعلم في معاني القرآن، وناسخ القرآن ومنسوخه، وإعراب القرآن لأبي جعفر النحاس (ت338هـ).

كما أخذ الفقه بطليطلة عن الفقيه والراوية الكبير خلف بن أحمد الرهوني المعروف بابن الرحوي (ت420هـ)، كما أخذ الحديث بسرقسطة عن القاضي أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن فوزتش (ت453هـ)، وغير هؤلاء ممن صحبهم وأخذ عنهم أبا الوليد الباجي من علماء الأندلس وحفاظها حتى استوعب علم الأندلس ونال حظا وافرا من تلك العلوم.

2- مكانته العلمية: بلغ الإمام أبو الوليد الباجي رتبة عالية من العلم؛ حيث جمع بين العلم والتقوى، والدراية والصلاح، والفقه والفتنة، واللغة والأدب، حتى أثنى عليه كثير من العلماء وفيما يلي بعضا من شهاداتهم على شخصيته العلمية الرفيعة.

وقد كان الإمام ابن حزم الظاهري يجله ويقدره ويقول عنه: "لو لم يكن لأصحاب المذهب المالكي بعد غياب القاضي عبد الوهاب إلا مثل أبي الوليد الباجي لكفاهم"⁵.

وقد أثنى عليه القاضي عياض كثيرا بقوله: "كان أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى فقيها نظارا محققا راوية، محدثا يفهم صناعة الحديث ورجاله، متكما أصوليا، فصيحاً شاعرا مطبوعا، حسن التأليف، متقن المعارف، له في هذه الأنواع تصانيف جلية، ولكن أبلغ ما كان منها في الفقه، وإتقانه على طريق النظار من البغداديين وحدائق القرويين، والقيام بالمعنى والتأويل، وكان وقورا بهيا، جيد القريحة، حسن الشارة"⁶.

هذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على مدى مكانته المرموقة في مجال العلم والمعرفة، حيث ذاع صيته، وانتشر ذكره في الآفاق مشرقا ومغربا.

3- مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة: ألف أبو الوليد تصانيف كثيرة ومفيدة، تناولت الأصول والفروع، والتفسير والحديث، وعلم الرجال وتراجمهم، وفن الجدل والمناظرة، ومسائل الخلاف والعقيدة، والزهد والرفائق، وغير ذلك، وهي تدل على نبوغه وسعة علمه.

أ- مؤلفاته المطبوعة: وهي متنوعة منها ما هي على شكل كتاب، ومنها ما هي على شكل رسائل صغيرة الحجم.

- المنتقى شرح الموطأ: وهو كتاب شرح في الباجي موطأ مالك، انتقاه من كتابه الاستيفاء.

- فصول الأحكام، وبيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام: هو كتاب يتعلق بالأحكام التي يرجع إليها القاضي والمفتي. حَقَّقَ مرتين: الأولى بتحقيق الأستاذ الدكتور محمد أبو الأجنان، والثانية بتحقيق الأستاذة الباتول بن علي.

- إحكام الفصول في أحكام الأصول: هو كتاب في أصول الفقه. حققه كل من الدكتور عبد الله الجبوري والدكتور عبد المجيد التركي.

- الإشارة في معرفة الأصول، والوجازة في معنى الدليل: حققه شيخنا وأستاذنا الدكتور محمد علي فركوس، والكتاب يسمى الإشارات أو الإشارة في الأصول.

- الحدود في الأصول: وهو كتاب صغير الحجم في بيان معاني بعض المصطلحات الأصولية. حققه الأستاذ الدكتور نزيه حماد.

- المنهاج في ترتيب الحجاج: هو كتاب في علم الجدل. حققه الأستاذ الدكتور عبد المجيد التركي.

- التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح: هذا الكتاب في أسماء الرجال الذين ورد ذكرهم في صحيح البخاري، مرتب على حروف المعجم. حققه الدكتور أبو لبابة حسين

- مختصر مشكل الآثار: هو كتاب اختصر فيه الباجي كتاب مشكل الآثار لأبي جعفر أحمد الطحاوي.

- اختلاف الموطّات: هو كتاب في روايات الموطّاء المختلفة، والزيادات والتعديلات التي أدخلها مالك على الموطّاء.
- فرق الفقهاء: هو كتاب في مسائل الخلاف.
- التبيين لمسائل المهتدين: هو اختصار لكتابه فرق الفقهاء السالف الذكر.
- فهرست: هو عبارة عن برنامج لشيخ الإمام الباجي وروايته عنهم.
- الناسخ والمنسوخ: لم يكمل الباجي تأليفه.
- التسديد إلى معرفة طرق التوحيد: هو كتاب في العقيدة وأصول التوحيد.
- تفسير القرآن الكريم: هو كتاب في تفسير القرآن الكريم لم يتمه الباجي.
- سنن الصالحين وسنن العابدين: كتاب في الزهد والرقائق.
- سبيل المهتدين: في التوحيد و الوعظ معاً.
- الانتصار لأعراض الأئمة الأخيار: كتاب في الدفاع عن الأئمة الأخيار.
- رفع الالتباس في صحة التعبد.
- تهذيب الزاهر لابن الأنباري: كتاب في اللغة، هدّب فيه كتاب الزاهر لابن الأنباري.
- السراج في عمل الحجاج: كتاب في مسائل الخلاف لم يكمل تأليفه.
- التحذير من بدعة مولد النبي ﷺ :
- مسألة مسح الرأس.
- مسألة غسل اليدين.
- مسألة اختلاف الزوجين في الصداق في الفقه المالكي.
- المبحث الثاني: إسهامات الإمام الباجي في خدمة المذهب المالكي

- تحقيق المذهب في أن النبي ﷺ قد كتب: هي رسالة ألّفها الباجي رداً على المخالفين له في قضية أمية الرسول ﷺ.
- الرد على رسالة الراهب الفرنسي: هي رسالة ألّفها الباجي في الرد على دعوة راهب فرنسا.
- شرح حديث "البينة على المدعي واليمين على من أنكر": هي رسالة صغيرة الحجم ألّفها الباجي في بيان معنى حديث "البينة على المدعي واليمين على من أنكر".
- الوصية لولديه: هي رسالة قيّمة يوصي فيها الباجي ولديه إلى مكارم الأخلاق، وإلى سبيل الخير والفلاح.
- ب- مؤلفاته المخطوطة وما في حكم المفقود: هناك العديد من مؤلفات الباجي لا تزال مخطوطة أو في حكم المفقود، وهي:
- الاستيفاء: وهو كتاب كبير جامع في شرح الموطّاء، وقد أشار إليه الباجي إلى كتابه هذا في مقدمة المنتقى.
- المعاني في شرح الموطّاء: جاء في عشرين مجلداً، عديم النظير لم يؤلف مثله.
- الإيماء: هو اختصار لكتاب المنتقى.
- شرح المدونة: هو كتاب شرح فيه الباجي المدونة، وقيل عنه بأنه لم يكمل شرحها.
- المهدّب في اختصار المدونة: هو اختصار للمدونة.
- مختصر المختصر في مسائل المدونة: هو مختصر لاختصار مسائل المدونة.
- المقتبس في علم مالك بن أنس: كتاب في الفروع لم يتمه الباجي.

أن مناظرته لابن حزم إمام المذهب الظاهري بالأندلس كانت الأشهر علما أن تفاصيل تلك المجادلات لم يبق منها إلا النزر القليل يردده بعض المؤرخين¹⁰.

وهذا على اعتبار أن اعتماد المذهب الظاهري على ظواهر النصوص الشرعية، سواء كانت قرآنا أو سنة، مما يفيد ضمنا إغلاقهم باب الاجتهاد ورفضهم القياس، وكأنهم بذلك قد أعلنوا حربا ضد بقية المذاهب الفقهية السنية الموجودة بالأندلس، والتي تعتمد على المصادر التشريعية المعروفة، وهي القرآن والسنة والاجتهاد والقياس في استنباط الأحكام الشرعية، من هنا نهض فقهاء كل مذهب للدفاع عنه معتمدين على أسلوب المناظرات العلمية في دحض حجج الخصوم.

وقد كان حامل لواء المذهب الظاهري ورأس المدافعين عنه في القرن الخامس الهجري بالأندلس الفقيه ابن حزم الظاهري الذي لمع نجمه لعلمه الغزير وحجته الدامغة فاستطاع أن ينشر المذهب الظاهري ويرسي دعائمه بالأندلس بفضل إمكاناته العلمية والعقلية.

وقد اختير الإمام الباقي لمقابلته ومناظرته عل ذلك يكون حداً منيعاً لوقف انتشار المذهب الظاهري يقول القاضي عياض في هذا الشأن: "ووجد عند وروده بالأندلس لابن حزم الظاهري صيتاً عالياً، وظاهرات منكراً، وكان لكلامه طلاوة، وقد أخذت قلوب الناس، وله تصرف في فنون تقصر عنها السنة فقهاء الأندلس في ذلك الوقت لقلّة استعمالهم النظر، وسلّموا الكلام له على اعترافهم بتخليطه، فحادوا عن مكالمته؛ فلما ورد أبو الوليد الأندلس وعنده من

تعددت مساهمات الإمام أبي الوليد الباقي في خدمته للمذهب المالكي، حيث يمكن إجمالها في الجوانب التالية:

المطلب الأول: جهود الإمام الباقي الكلامية والجدلية لنصرة المذهب المالكي

كان أثر الإمام أبي الوليد الباقي بيّناً وواسعاً في هذا الجانب، سواء في المشرق عند رحلته أو في الأندلس بعد عودته، حيث اكتسب تكويناً علمياً جيداً أهله لأن يكون مدافعاً ومناصرًا للمذهب المالكي.

ومما يوضح أثره في بلاد الأندلس ما أجراه من تحول في تاريخ الاتجاه السني بحلب السورية التي كان الشيعة سائدين بها، حيث لمّا وصلها تضاعل أمرهم وخفّ وزنهم خاصة لمّا انتصب للتدريس بها، وأصبحت الفتوى فيها تدور على المذهب المالكي مدة مقامه بها.

وقد بلغ هذا الأمر إلى شيخه وأستاذه القاضي أبا جعفر السّمّاني فكتبه يقول: "استفتحت بلدا ما استفتح القاضي أبو بكر مثله"⁷.

وبعد عودة الإمام أبي الوليد الباقي من رحلته المشرقية إلى الأندلس كان أثره أوسع وأعمق، ويتجلى ذلك بصورة خاصة في مجال الجدل والمناظرة⁸، والسعي لتركيز المذهب المالكي الذي كان يناوئه أهل الظاهر، والوقوف بحزم في وجه هذا المذهب، والحيولة دون انتشاره في الأندلس.

ومما يذكره مترجمو الإمام الباقي أنه خاض العديد من المناظرات العلمية مع خصومه من علماء عصره في مختلف ربوع الأندلس، سواء في مرسية مع أبي حفص عمر بن حسين الهوزني الذي كان يمثل عمدة فقهاء اشبيلية⁹، وغيرها إلا

التحقيق والإتقان، والمعرفة بطرق الجدل والمناظرة ما حصله في رحلته أمه الناس لذلك، فجرت له مجالسات كانت سبب فضيحة ابن حزم، وخروجه من مبروقة، وقد كان رأس أهلها، ثم لم يزل أمره في سفال فيما بعد¹¹.

وفعلا التقى الرجلان بمدينة مبروقة، وعقدت لهما جلسة سنة 439هـ برعاية الوالي أبي العباس أحمد بن رشيق الكاتب، وبحضرته في ساحة قصره.

وجرت بينهما المناظرة تضمنت موضوعات عديدة تخص أساسا المسائل الأصولية نحو مسألة نفي وإبطال الرأي وتعليل الأحكام، وما يترتب على ذلك من أحكام فرعية.

وقد انتهت المناظرة بانتصار الباجي وتفوقه حسب رواية أكثر المترجمين والمؤرخين¹²، وأقر ابن حزم بفضل أبي الوليد الباجي وقدرته العلمية على المجادلة والبراهين والحجج التي أقامها حتى قال فيه قولته المشهورة: "لو لم يكن لأصحاب المذهب المالكي بعد عبد الوهاب إلا مثل أبي الوليد الباجي لكفاهم"¹³.

وقد نتج عن هذه المناظرة أن غادر ابن حزم مدينة مبروقة، وقدم المعتضد بن عباد على إحراق كتبه بإشبيلية، وفي هذا الصدد يقول ابن حزم:

دعوني من إحراق رقّ وكاغط وقولوا

بعلم كي يرى الناس من يدري

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي

تضمّنه القرطاس، بل هو في صدري

يسير معي حيث استقلت ركائبي

وينزل إن أنزل ويدفن في قبري¹⁴

وعلى كل حال فإن النص الكامل لهذه المناظرة وغيرها من المجالس التي جرت بين الباجي وابن

حزم لم يُشر إليها المؤرخون، ولم تنتشر في المصادر المطبوعة، ولعلّ السبب في ذلك أن كتاب الفرق للإمام الباجي الذي كان معروفا ومتداولاً عند بعض الدارسين حتى القرن التاسع للهجرة، كان يتضمن بعض تلك المجادلات¹⁵.

ومهما يكن من أمر هذه المجالس والمناظرات، فإن لهذين الرجلين قدم راسخة في العلم، ومساع مشكورة في الرد على أهل الإلحاد والضلال.

كما أن قدرة الإمام الباجي ودفاعه عن مذهبه وأرائه ضد المخالفين له كانت أحد الأسباب الرئيسية التي دفعت الأمير معز الدولة إلى ترك المذهب الشيعي والتحول إلى المذهب السني.

ويذكر بعض الدارسين أن تلك المناقشات كانت تدور على مستويين متكاملين، ولكنهما متميزين بصورة واضحة، أولهما مستوى أصول الدين، وثانيهما مستوى أصول الفقه مع التعرض لمناقشة الفروع الفقهية¹⁶.

وعلى أية حال فإن الإمام الباجي كان له الأثر الطيب في سير الحركة العلمية بجميع أوجهها بالأندلس، ويعتبر من ذوي الفضل في إحياء قلوب أهلها، وتوطيد دعائم الدين بها.

يقول الإمام أبو بكر بن العربي منوهاً بأثر الباجي: "لولا أن الله تعالى من بطائفة تفرقت في ديار العلم، وجاءت بلباب منه كالقاضي أبي الوليد الباجي وأبي محمد الأصيلي فرشوا من ماء العلم على هذه القلوب الميتة، وعطّروا أنفاس الأمة الذفرة لكان الدين قد ذهب، ولكن تدارك الباربي سبحانه بقدرته ضرر هؤلاء بنفع هؤلاء، وتماسكت الحال قليلا والحمد لله تعالى"¹⁷.

المطلب الثاني: جهود الإمام الباجي الأصولية لخدمة المذهب المالكي

يذكر بعض الدارسين أن بلاد الأندلس ظلت لعقود عديدة على مذهب الإمام الأوزاعي (ت157هـ) إلى أن صار ومنذ سنة 180هـ، وهو التاريخ المحتمل لدخول المالكية إلى بلاد الأندلس.

وقد كان السائد في تلك الفترة أدب المسائل والأجوبة والنوازل والأحكام والوثائق المالكية. وهذا الأدب كان يهدف إلى إيجاد الحلول لعديد القضايا التي تثيرها الحياة اليومية، وكان طبيعياً أن يتغذى هذا الأدب من مجموعات المسائل التي يرويها الفقهاء الأندلسيون عن مالك نفسه أو عن تلميذه ابن القاسم (ت191هـ) أو عن تلاميذ آخرين أقرب عهداً إليهم كاسحنون (ت240هـ) صاحب المدونة، ثم إنه أصبح للأندلسيين كتب خاصة بهم كالواضحة لعبد الملك بن حبيب (ت238هـ) والعنينة للعتبي (ت255هـ) سوى الشروح الإضافية التي كتبت حول هذه الكتب ولعل أهمها بلا شك كتاب البيان لابن رشد الجد (ت520هـ).

والحقيقة أن فقهاء الأندلس طيلة هذه الفترة الممتدة من أواخر القرن الثاني الهجري إلى أواخر القرن الرابع الهجري لم يأخذوا شيئاً من منهجية الإمام مالك الأصولية التي ضبطها في الموطأ، إلا أن هذه الحالة الفريدة من نوعها تميزت بالسيطرة المالكية القرطبية خاصة، حيث تغيرت مع مطلع القرن الخامس الهجري إذ سقطت الخلافة الأموية سنة 422هـ، وبسقوطها زالت الهيمنة القرطبية السياسية والفكرية وظهر عدد كبير من الإمارات الجهوية المستقلة سياسياً بل حتى ثقافياً، وساعد هذا الجو الجديد على ظهور مجتهدين كبار

مختصين في كل أصناف المعرفة الدينية بما فيها الفقه وأصوله والجدل فيه، ولعل من أبرزهم ابن حزم الأندلسي (ت456هـ) الذي لقي حظوة لدى السلطة السياسية لما حلّ بجزيرة ميورقة ابتداء من سنة 430هـ بدعوة من أميرها ابن رشيق لينشر فيها مذهبه تدريجاً ومجادلة وتأليفاً، وأنه أفحم بعض المالكية في مجالس عقدت بقصر ابن رشيق.

وقد وجدوا أن الباجي هو الفقيه المالكي الوحيد القادر على مجادلة ابن حزم في مجالس عقدت للبحث في العقيدة والشرعية سنة 439هـ، وهذا إثر عودته من الرحلة المشرقية التي دامت ثلاث عشرة سنة تضلع فيها خاصة بالحديث والأصول والجدل تضلعا مكنه من التغلب على ابن حزم الظاهري نهائياً انتصاراً للمذهب المالكي¹⁸.

وقد يكون الإمام الباجي قد فكرَ عَقَبَ هذه المناظرات في جدوى تصنيف كتب أصولية في قالب الجدل، ومن المعقول أنه قد استلهمها بكتابه "إحكام الفصول في أحكام الأصول"، وهو كتاب قيم بلا شك يمثل باكورة هذا الفن في الأندلس، وهو كتاب مطوّل مقارنة بكتابه الثاني المسمى "كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج"، وهو من المؤلفات الهامة في فن الجدل الذي يستمد حجته من القرآن والحديث وأقوال الأئمة أصحاب المذاهب الفقهية، وهو أيضاً كتاب قيم في بابيه يمثل باكورة هذا الفن في موطن الباجي الأندلس. ويتسم هذا الكتاب بطابع ثقافة الباجي الفقهية الأصولية الجدلية الشاسعة والجامعة التي تلقاها في المشرق، وخاصة بغداد، وبفضل ذلك عاد إلى بلده الأندلس، وقد أكمل زاده العلمي واستعد لفتح

الفرع الأول: دوافع الانتصار للمذهب المالكي لدى الإمام الباجي

اعتبر أحد الباحثين في فكر الإمام الباجي أن دوافع الانتصار للمذهب المالكي عند الإمام الباجي تعود لثلاثة أسباب رئيسية وهي¹⁹:

أولاً: التوسع الفروعي للمذهب المالكي

مما هو معلوم أن المذهب المالكي عرف توسعا منذ ظهور المدونة على يد علماء المذهب يقيسون ويفرعون على أصول الإمام مالك التي استنبطوها من منهجيته في الموطأ، ومن فتاويه في المدونة الكبرى أيضا التي أصبحت في المغرب والأندلس محور الدراسة والتدريس فظهرت شروحات عديدة للموطأ والمدونة، متبوعة بالمختصرات، فشروحات والحواشي حتى تكونت ثروة هائلة من الفروع الفقهية والأحكام العملية مفصلة عن أصولها تحتاج إلى من يضبطها ويربطها بأصولها من جديد، وكان الإمام الباجي أحد الذين انبرى لهذه المهمة العلمية النبيلة.

ثانياً: الضعف العلمي عند فقهاء الأندلس المالكيين

ساد التقليد لدى فقهاء الأندلس وكان هو السمة البارزة، وهذا قبل عودة الإمام الباجي من رحلته المشرقية، تجلى ذلك واضحا في صرف اهتمامهم إلى فقه النوازل وما جرى به العمل دون أن يرقوا إلى مستوى مناقشة أصول تلك النوازل والتشريع على أساسها، كما صرفوا جهودهم إلى اختصار المصنفات الفقهية كمدونة سحنون (ت240هـ) والموازية لابن المواز (ت269هـ) والواضحة لابن حبيب (ت238هـ) وغيرها من المصنفات حتى قصرت الهمم عن كبار العلم وأصبح فقهاء

جديد في علم الكلام، وكذلك في علم الأصول الفقهية بإحكامه الفن الجدلي.

ومن الثابت أن الإمام الباجي يناصر في كتابه المنهاج أقوال المالكية لأنه قد ألفه خصيصا لهذا الغرض.

ثم يأتي كتابه "الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل" الذي يعتبر على اختصاره وصغر حجمه مستوعبا لمعلومات أصولية نفيسة، لا يستغني عنها الباحث لاسيما فيما يتعلق بأصول المذهب المالكي، حيث توخى فيه الإمام الباجي الإيجاز واختصره على كتابه الأصولي الكبير المذكور أعلاه "إحكام الفصول في أحكام الأصول"، وقد أشار إلى أهم المسائل الأصولية إشارة وجيزة ومختصرة كما هو ظاهر من عنوان الكتاب، حيث تناول فيه إلى أدلة الشرع.

ثم يأتي "كتاب الحدود في الأصول"، وهو من المصنفات الهامة التي اهتمت بالاصطلاحات الأصولية، جمع فيه الإمام الباجي تعريفات كثيرة هامة، والكتاب بحق قيم جليل القدر كثير الفائدة لا يستغني عنه باحث في الأصول، فضلا عن طالب العلم ومبتغي الفائدة.

وقد كانت للإمام الباجي في التأليف الأصولي منهجية علمية تمثل بحق مشروع علمي إلى جانب مشروع ابن حزم نقطة تحول في تاريخ الدراسات الأصولية بالأندلس.

فقد استطاع الإمام الباجي أن يطلع على طرق التأليف في عصره فأوعبها وأحسن الاستفادة منها وأتقن إعمالها، ويظهر هذا الأمر لكل دارس لتراث الإمام الباجي الأصولي.

الأندلس في بداية القرن الخامس الهجري في وضع علمي لا يسمح لهم بمواجهة انتقادات خصوم المذهب.

ثالثاً: انتقادات ابن حزم الظاهري

في هذه الأجواء المطبوعة بالتقليد وضعف الهمم بين فقهاء المالكية بالأندلس ظهر ابن حزم الظاهري خصماً عنيداً لهم بانتقاداته اللاذعة، حيث شَنَّ على مالكية الأندلس بعدهم عن الأصول وقصورهم عن الاجتهاد وتوغلهم في التقليد، وتفوق عليهم في الجدل والمناظرة بفضل تكوينه الموسوعي ممَّا جعل هؤلاء الفقهاء يتشوفون إلى مناظر مالكي في مستوى ابن حزم حتى عليه.

رابعاً: التكوين العلمي الرصين للباجي

كما سبق القول فإن الإمام الباجي نال ثقافة واسعة ومعقدة في مختلف العلوم الشرعية واللغوية ما جعله يتصدى للدفاع عن المذهب المالكي في تلك الظروف الصعبة خاصة عندما يتعلق الأمر بمواجهة الخصم العنيد والمنتقد اللاذع ابن حزم الظاهري.

الفرع الثاني: معالم جهود الإمام الباجي الأصولية في خدمة المذهب المالكي

تظهر جهود الإمام الباجي الأصولية في خدمة المذهب المالكي من خلال منهجه العلمي الرصين الذي يقوم على الطرق الآتية²⁰:

أولاً: طريق التأصيل

ويتمثل طريق التأصيل لدى الإمام الباجي في التأصيل على مستوى الأصول، والتأصيل على مستوى الفروع.

* - التأصيل على مستوى الأصول

يعتبر كتاب "إحكام الفصول في أحكام الأصول" وغيره من المصنفات الأصولية للإمام الباجي من أهم جهوده في تأصيل أصول المذهب المالكي، حيث جعل من جملة أهدافه في التأليف الأصولي البحث عن موقف المالكية من القضايا الأصولية التي جاءت في هذا الكتاب وغيره من مصنفاته الأصولية القيِّمة.

فقد كان الإمام الباجي طيلة هذا الكتاب يعرض المسألة الأصولية، ويعرض معها موقف المالكية منها، وموقف الإمام مالك نفسه منها إذا ثبت لديه، إلى جانب مواقف الأصوليين الآخرين خارج المذهب. وهذا كله من أجل إبراز رأي المذهب في المسألة الأصولية والانتصار له.

فقد كان الإمام الباجي بحق يبذل جهوداً مضيئة من خلال كتاباته الأصولية إلى بيان أصول المالكية ودعم ما صح منها بالحجج والبراهين، ودفع اعتراضات الخصوم، وهو بذلك يوجد آليات الدفاع عن المذهب.

* - التأصيل على مستوى الفروع

حاول الإمام الباجي إرجاع الفروع الفقهية المتشعبة إلى أصولها، وهو عمل اجتهادي كبير له قيمته العلمية في ربط الفروع بأصولها، والمسائل بأدلتها، خاصة إذا علمنا كما سبق القول أنه في تلك المرحلة الزمنية اقتضت الهمم على حفظ المتن والمسائل والمختصرات، ممَّا احتجج إلى إيجاد منهج قوي لخدمة المذهب والانتصار له.

ولهذا نجد الإمام الباجي قد سلك مسلك المجتهدين في تعامله مع الفقه المالكي، سواء في جهوده

الأصولية، أو في باقي جهوده العلمية التي كانت تخدم المذهب المالكي من قريب أو بعيد.

ثانياً: طريق التحقيق

من الجهود الأصولية التي بذلها الإمام الباجي خدمة للمذهب المالكي تحقيق أصوله وفروعه.

* - تحقيق أصول المذهب

مما هو معلوم أن أصول المذهب المالكي لم يتم تقريرها إلا بعد وفاة إمام المذهب مالك رحمة الله عليه، وذلك عن طريق استقراء نصوص المذهب، وبالتالي فإن معظم تلك الأصول اختلف فيها المالكية أنفسهم، سواء من حيث صحة نسبتها إلى الإمام مالك، أو من حيث المراد بها، الأمر الذي استدعى من علماء المذهب بذل جهود معتبرة في التحقيق والتدقيق من أجل تحري الصواب كما فعل الإمام الباجي في عدة قضايا أصولية تخص المذهب منها على سبيل المثال تحقيق مقصود مالك من إجماع أهل المدينة، وكذا تحقيق مسألة شرع من قبلنا وبيان موقف مالك منها، وغيرها من المسائل الأصولية التي عالجها الإمام الباجي في كتاباته الأصولية بالتدقيق والتحقيق، وهذا كله خدمة للمذهب.

* - تحقيق فروع المذهب

مما هو معلوم أن التراث الفقهي المالكي كثير ومتشعب مما حثم على علماء المذهب بتحقيق فروعه، وهذا ما ساهم به الإمام الباجي من خلال جهوده العلمية المتنوعة خدمة للمذهب من حيث فروعه، وهذا لكثرتها وتشعبها واختلاف الروايات المنقولة عن الإمام مالك، حيث بذل الباجي جهوداً معتبرة في تحقيق مسائل فرعية كثيرة حدث فيها خلاف داخل المذهب، ساهم فيها

برأيه العلمي واجتهاده بغية الوصول إلى الحقيقة وتحري الصواب في المسألة الفقهية، وخير دليل على ذلك ما في كتابه النفيس المنتقى شرح الموطأ، حيث نجد أمثلة كثيرة عن هذا المنحى الذي سلكه الباجي في تحقيق فروع المذهب المالكي.

الفرع الثالث: جهود الإمام الباجي في المصطلح الأصولي

من الجهود المعتبرة التي قام بها الإمام الباجي خدمة للمذهب المالكي جانب المصطلح الأصولي، وهذا لأهميته وفائدته، حيث ينتج عن المصطلح أفهام وتصورات، إن استقامت استقام فهمها، وإن أسيئ فهمها حصل الفساد. وقد اعتنى الإمام الباجي بهذا الجانب عناية فائقة، سواء من حيث إفراده بالتصنيف والتأليف في كتابه "الحدود في الأصول"، أو من حيث تصديره لمؤلفاته الأصولية، وذلك من خلال مقدمات ومباحث تتضمن الجانب المصطلحي الذي كثر استعماله وتداوله لدى الأصوليين. ومن ثم يمكن القول أن الإمام الباجي قد اهتم بالمصطلح الأصولي أيما اهتمام خدمة لأصول المذهب.

المطلب الثالث: جهود الإمام الباجي الفقهية خدمة للمذهب المالكي

لقد بذل الإمام الباجي جهوداً مضنية في الجانب الفرعي الفقهي خدمة للمذهب، ولا أدل على ذلك من كتبه العديدة التي ألفها في فروع الفقه المالكي، وقد أشرنا إليها عند الحديث عن مؤلفات الباجي المطبوعة والمخطوطة وما في حكم المفقود.

الإمام الباجي يقوم بالتفريع الكثير على الأصل بحيث يعدُّ كتابه المنتقى شرح الموطأ من الكتب الهامة في فروع الفقه المالكي.

الخاتمة

في نهاية هذا البحث الموسوم بـ: "الإمام أبو الوليد الباجي وجهوده في خدمة المذهب المالكي أصولاً وفروعاً"، يمكن الإشارة إلى أهم النتائج والتوصيات.

* - أن الإمام الباجي يمثل إحدى الحلقات المتماصلة في تاريخ الحضارة الإسلامية بربوع الأندلس، حيث كان من أركان النهضة العلمية بها، وقد خلّد التاريخ نضاله السياسي وجهده العلمي ودأبه في سبيل عزة الإسلام.

* - أن الإمام أبا الوليد الباجي يعتبر بحق وحده قد سيطر على الحياة الفكرية في بلده الأندلس، حيث برز بين مواطنيه الذين ظلوا أوفياء لهذا التراث الفقهي والأصولي الذي تحدثنا عنه فيما تقدم، فقد برز كمتخصص في الفروع والأصول، وباقي العلوم.

* - أن الإمام أبا الوليد الباجي له جهود علمية قيّمة، ومصنفات جليّة وعديدة أثرت بها المكتبة الإسلامية في شتى أنواع العلوم والفنون.

* - هذا البحث يكشف عن مدى حرص الإمام الباجي على خدمة المذهب المالكي، سواء من خلال جهوده الأصولية والفقهية أو باقي جهوده العلمية الأخرى.

* - وأما بخصوص التوصيات فإن كانت ثمة توصية فأوصي بأن تقام ندوات وأيام دراسية وأبحاث علمية حول هذه الشخصية العلمية الأندلسية المرموقة وأثرها في أصول الفقه وفروعه،

ويقتصر الحديث في هذا الجانب على أهم كتاب فقهي للإمام الباجي كنموذج لجهوده الفقهية، ألا وهو "المنتقى شرح الموطأ"، وهذا لأهمية هذا الكتاب الفقهي للمذهب المالكي ومكانته لدى فقهاء الكبار.

وقد بيّن الإمام الباجي في مقدمة كتابه المنتقى سبب تأليفه²¹، والذي يتمثل في أنه لما شرح موطأ مالك بن أنس في شرح كبير مطول سمّاه "الاستيفاء" حيث صعب تناوله على بعض الناس خاصة لمن لم يكن لهم دراية بهذا العلم، فطلب منه أحد تلامذته أن يلخص كتاب الاستيفاء في كتاب آخر يكون أسهل تناولاً منه، فأجابه إلى ذلك حيث اختصر الاستيفاء واكتفى بذكر ما تضمنه من الفروع الفقهية مما هو وارد في الموطأ.

وكتاب المتقى شرح الموطأ يعتبر من أحسن ما كتب من شروح الموطأ خاصة من الناحية الفقهية على مذهب السادة المالكية، حيث كان الإمام الباجي يورد حديث الموطأ ويشرحه من خلال إيراد مسائل وفروع فقهية مع عرض أقوال الأئمة ومناقشتها، مدعماً الاتجاه المالكي بدليله مع ذكر مختلف الروايات الواردة في المسألة.

ولعلّ أهم ما يميز منهج الإمام الباجي في كتابه المنتقى شرح الموطأ أنه كان ينتصر للمذهب المالكي دون أن ينقص من قدر بقية المذاهب الفقهية المعتمدة، فنراه يرجح آراء مذهبه مصرحاً بذلك بقوله: "والأصح كذا...".

وقد يذكر الرأي المخالف ثم يتبعه بما يختاره، وقد لا يصرح بالترجيح فيفهم اختياره أو ميله لرأي المالكية من سياق عرضه للأقوال المختلفة. وكان

وخدمتها للمذهب المالكي من مختلف الجوانب، كما أوصي المهتمين بالبحث العلمي إلى التوجه إلى تحقيق آثار الإمام أبي الوليد الباجي ومصنفاته القيمة التي لم تر النور بعد، والمتاثرة في المكتبات العربية والأجنبية ولدى الأفراد الذين لا ينتفعون بها، والعمل على نشرها ليعم نفعها

الهوامش

¹ - انظر ترجمته في المصادر الآتية: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت544هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: الدكتور أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت، دار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا، ج2 ص802-808. شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ)، سير أعلام النبلاء، حققه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط وجماعة من العلماء، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الحادي عشرة: 1422هـ-2001م، ج18 ص535-545. شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ)، تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج3 ص1178-1183. أبو القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال (ت578هـ)، كتاب الصلة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، المكتبة الأندلسية، القاهرة، مصر: 1966م. ج1 ص200-202. ابن بسم الشنتري (ت542هـ)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان: 1399هـ، مج2 ج1 ص94-105. برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمرى المالكي المديني (ت799هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدى أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ص120-122. أبو العباس أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت1041هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، إشراف

مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1419هـ-1998م، ج2 ص67-77. الشيخ محمد بن محمد مخلوف (ت1360هـ)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، خرج حواشيه وعلّق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1424هـ-2002م، ج1 ص120-121. خير الدين الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان. الطبعة السابعة. أيار (مايو) 1986م. ج3 ص125. أنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الإسبانية حسين مؤنس. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر. ص423-427.

² - وقع اختلاف بين المؤرخين في تحديد ميلاد أبي الوليد الباجي إلى ثلاثة أقوال:

الأول: ولد يوم الثلاثاء منتصف ذي القعدة سنة 403هـ، وهو القول الراجح؛ لأنه نقل عن الباجي نفسه. انظر: ابن بشكوال، كتاب الصلة، ج1 ص202.

الثاني: أن مولده كان سنة 404هـ، وقول ابن عساكر. انظر: ابن بدران، تهذيب تاريخ ابن عساكر، ج6 ص249. الثالث: أن مولد الباجي كان سنة 402هـ، وهو ما ذهب إليه الباحث الإسباني أنخيل جنشاليس بالنثيا في كتابه الفكر الأندلسي، ص424.

³ - انظر: عياض، ترتيب المدارك، ج2 ص808. ابن بشكوال، كتاب الصلة، ج1 ص202.

⁴ - انظر: إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، دار الثقافة، بيروت، لبنان. الطبعة الخامسة: 1978م. ج1 ص23-25.

⁵ - انظر: المقرئ، نفح الطيب، ج2 ص232. مخلوف، شجرة النور، ج1 ص178.

⁶ - عياض، ترتيب المدارك، ج2 ص803.

⁷ - انظر: مقدمة محقق كتاب فصول الأحكام وبيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام، للإمام أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي (ت474هـ)، تحقيق وتقديم: الدكتور محمد أبو الأجنان، دار ابن حزم للطباعة

محمود عبد الحليم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1406هـ - 1986م، ص 20.

¹⁶ - انظر المرجع نفسه، ص 21.

¹⁷ - ابن فرحون، الديباج المذهب، ج 1 ص 384.

¹⁸ - انظر: مقدمة محقق كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج، للإمام أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي (ت 474هـ). تحقيق: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة: 2001م، ص 10-11.

¹⁹ - انظر: محمد بن محمد رفيع، معالم الفكر الأصولي المالكي من خلال فكر الباجي الأصولي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى: 1432هـ - 2011م، ص 305-306.

²⁰ - انظر: المرجع نفسه، ص 307-316.

²¹ - انظر: أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي (ت 474هـ)، المنتقى شرح الموطأ، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1420هـ - 1999م، ج 1 ص 201-202.

قائمة المصادر والمراجع

1- ابن بسم الشنتري (ت 542هـ)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان: 1399هـ.

2- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت 578هـ)، كتاب الصلة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، المكتبة الأندلسية، القاهرة، مصر: 1966م.

3- ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد اليعمرى المالكي المدني (ت 799هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدى أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر.

4- إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي. دار الثقافة. بيروت، لبنان. الطبعة الخامسة: 1978م.

5- الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف الأندلسي (ت 474هـ)، فصول الأحكام وبيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام، تحقيق وتقديم: الدكتور محمد أبو

والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1422هـ - 2002م، ص 75.

⁸ - تفيد كتب السير والتراجم أن فن المناظرة كان معروفا في الأندلس ومنتشرا بين علمائها، حيث أشارت كتب السير والتراجم إلى بعض وقائع تلك المجادلات فأبو محمد عبد الله الياضي يشير إلى أن أبا بكر الطرطوشي لقي أبا حامد الغزالي في الشام وقصد مناظرته فأجابه الغزالي قائلا: هذا شيء تركناه لصبيبة بالعراق. انظر: أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي الياضي، مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ج 3 ص 226.

⁹ - انظر: عياض، ترتيب المدارك، ج 2 ص 825-826.

¹⁰ - نشير إلى أن الأستاذ عبد المجيد التركي صنف كتابا لهذه المناظرات استنتجها من نقاط الاختلاف بين ابن حزم والباقي في الأصول والفروع، من خلال كتبهما المطبوعة، وما توفر لديه من كتبهما المخطوطة سمّاها: مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن حزم والباقي، قام بمراجعته والتعليق عليه كل من الدكتور عبد الصبور شاهين، والدكتور محمد عبد الحليم محمود، ونشرته دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

كما قدّم الأستاذ المصطفى الوظيفي دراسة سماها: المناظرة في أصول التشريع الإسلامي -دراسة في التناظر بين ابن حزم والباقي- طبع بأمر من صاحب الجلالة أمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله: 1419هـ - 1998م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية.

¹¹ - انظر: عياض، ترتيب المدارك، ج 2 ص 805.

¹² - انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 18 ص 540.

ابن فرحون، الديباج المذهب، ج 1 ص 380.

¹³ - انظر: مخلوف، شجرة النور، ج 1 ص 178.

¹⁴ - انظر: المقرئ، نفح الطيب، ج 2 ص 242.

¹⁵ - انظر: عبد المجيد تركي، مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن حزم والباقي، ترجمة وتحقيق وتعليق: الدكتور عبد الصبور شاهين، مراجعة: الدكتور

- 14- محمد بن محمد رفيع، معالم الفكر الأصولي المالكي من خلال فكر الباجي الأصولي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى: 1432هـ - 2011م
- 15- مخلوف، محمد بن محمد (ت1360هـ)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، خرج حواشيه وعلق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1424هـ - 2002م.
- 16- المقري، أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني (ت1041هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، إشراف مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1419هـ - 1998م.
- 17- اليافعي، عبد الله بن أسعد بن علي أبو محمد، مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان.

- الأجفان، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1422هـ - 2002م.
- 6- الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف الأندلسي (ت474هـ)، كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة: 2001م.
- 7- الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف الأندلسي (ت474هـ)، المننقى شرح الموطأ، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1420هـ - 1999م.
- 8- بالنشيا، أنخل جنثال، تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الإسبانية حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر.
- 9- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ)، تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- 10- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ)، سير أعلام النبلاء، حققه وخرّج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط وجماعة من العلماء، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الحادي عشرة: 1422هـ - 2001م.
- 11- الزركلي، خير الدين الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، أيار (مايو) 1986م.
- 12- عبد المجيد تركي، مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن حزم والباجي، ترجمة وتحقيق وتعليق: الدكتور عبد الصبور شاهين، مراجعة: الدكتور: محمود عبد الحليم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1406هـ - 1986م.
- 13- عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت544هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: الدكتور أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت، دار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا.